منغوليا الإمبراطورية تعيش استراحة محارب عنيد...

من خارج الزمان

منغوليا هذا الاسم الذي ارتبط في ذاكرة شعوب الأرض التاريخية بحملات المغول، و قيام إمبراطورية على أنقاض مدن لم تستسلم بسهولة لوقع جياد جيش مهول قاده الشاب تيموجين، بعد أن وحّد قبائل المغول و أصبح يعرف بجنكيز خان أي 'الإمبراطور الكوني' الذي سابق الريح فاجتاح آسيا، ليحقق حلمه أحفاده من بعده و يقيموا أكبر الإمبراطوريات على مرّ العصور.

انكمشت الإمبراطورية و تقلصت و عادت إلى حدود جغرافيتها الطبيعية بين روسيا و الصين، و المثير للتعجب و التساؤل: كيف يمكن لهذه البلاد التي خصها الخالق بطبيعة تحبس الأنفاس مغلّفة بفضاء أزرق تسكن دونه سهوب رحبة تتماوج فيها الألوان بلا حدود، و أودية متدحرجة يستريح في أحضانها ريف هادئ لا تسمع فيه سوى صدى الريح يتسرب إلى داخل خيمة لباد، أن يخرج منها هولاكو حفيد جنكيز خان، المرتبط اسمه في ذاكرتنا العربية بدمار بغداد عاصمة العلوم في العصر العباسي، و بحريق بيت الحكمة معقل نتاج العرب الفكري الذي حوّله رمادًا، و اغراق ما بقي منه في نهري دجلة و الفرات وتعكير صفو مياههما النقية بحبر أسود دوّن في صفحات التاريخ: «المغول مروا من هنا».

و مهما يكن من تاريخ لم يرحم طغاة إمبراطورية غابرة، فمما لاشك فيه أن منغوليا تستحق أن يزورها من يهوى السفر إلى بلاد ليست موجودة على لائحة الوجهات السياحية التقليدية، ليعيش وسط عالم المغول الذي سقط من حسابات الزمن الحاضر رغم أنه غيّر في ما مضى وجه الحضارة الإنسانية وزمانها.

إنها سخرية التاريخ!

النسر العربي الدولية © ٢٠١١